



حب الوطن في مرايا الشعر المعاصر: قراءة في قصيدة "بلادي"
للشاعرة اللبنانية "نسرين ياسين بلوط".

*Love of the homeland in the mirrors of contemporary poetry: A reading in the poem 'Biladi' by the
Lebanese poet 'Nisreen Yassin Ballout*

فريدة مقلاتي* ، جامعة باتنة 1 (الجزائر)، farida.meguelliati@univ-batna.dz

تاريخ المقال

النشر: 2025-06-12

القبول: 2025-05-23

الإرسال: 2025-01-27

الكلمات المفتاحية

ملخص البحث

إن الخطاب الشعري مفتوح على عدة قراءات، وهذه الأخيرة ما هي إلا تأويل له يقدمه القارئ بغية فك مغاليقه، وكشف الخفي من معانيه استنادا إلى احتمالات الألفاظ وقرائن السياق، وهذا لا يتأتى إلا لقارئ متميز مزود بمرجعية لغوية وثقافية تمكنه من استنطاقه ومحاورته. وهذه القصيدة المعاصرة الموسومة: "بلادي" محملة بأبعاد وطنية، ومعاناة إنسانية، وقد حاولت الشاعرة من خلالها تفريغ همومها، ولكن بطريقة فنية، وتبقى نصا مفتوحا يحاول كل قارئ القبض على بنيته الدلالية المحتملة، وليست النهائية.

Abstract

Poetic discourse is open to several readings, and these readings are nothing but a hermeneutics of it presented by the reader in order to decipher its implications and reveal the hidden meanings based on the possibilities of words and context clues, and this is only possible for a distinguished reader equipped with a linguistic and cultural reference.

Keywords

reading
hermeneutics
poem
significance
homeland

This contemporary poem, titled " Biladi" is loaded with national dimensions and human suffering. Through it, the poet tried to relieve her worries but in a manner that aesthetic. It remains an open text whose possible, but not final, semantic structure tries to be captured by every reader.

1. مقدمة:

يستطيع الشاعر أن يعبر باللغة عن وجوده، وعن حبه وعشقه لوطنه، وبخاصة أن الشعراء العرب رسموا «الوطن في صورتين الأولى تحدثت عن جماله وما فيه من طبيعة، وقيم إيجابية والصورة الثانية تحدثت عن المقاومة، وعن تعاسة هذا الوطن من خلال ظروفه الاجتماعية والسياسية، والاقتصادية وغيرها» (سلوم درغام، 2012، صفحة 4)، وقد جسدت الشاعرة اللبنانية "نسرین بلوط"¹ في هذه القصيدة حبها لوطنها، ومعاناتها نتيجة البين، فهي حاولت أن ترسم صورة تنم عن شوقها، وتكشف عن حقيقة مشاعرها، وعن واقعها المؤلم، فكيف عكست الشاعرة حب الوطن من خلال مرايا قصيدتها؟ وبما اتسمت الصورة التي رسمتها لبلادها في ذاكرتها؟ ولماذا لجأت إلى المزج بين الصمت والكلام في تجسيد حبها ومعاناتها في الوقت نفسه؟

وتتجلى أهمية الدراسة في الكشف عن أهمية القراءة والتأويل في خلق نص جديد، وذلك عبر محاولة القبض على بنيته الدلالية المحتملة، وليست النهائية؛ لأن دلالة هذه القصيدة قد تختلف من قارئ إلى آخر، وذلك محاولة منه في الكشف عن مكانها بوصفها خطاباً مفتوحاً يتيح تعددية الدلالة، ولكن هذه التعددية تكون دائماً كامنة في بنيته.

وبذلك فإن الخطاب الأدبي «يستمد قيمته من التأويل الذي يقدمه القارئ من خلال علاقة حوارية تصاعدية مع النص بوصفه رسالة مفتوحة يوجهها المرسل» (غلاب، دت، صفحة 67) إلى المتلقي الذي

بدوره يتفاعل مع الخطاب الشعري، ويعمل على إخراج الدلالة من حالة الكمون إلى حالة الظهور، والتجلي لتحقيق الفهم المحتمل، وبخاصة أن «النص... آلة تنتج سلسلة من الاحتمالات اللامتناهية» (أمبيرتو، 2000، صفحة 124).

وبهذا فإن النص ليس فضاء موصداً؛ بل مفتوحاً؛ إذ لا يمكن لأي قارئ الإلمام بكل دلالاته المحتملة؛ أي تحقيق المعنى الشامل والكامل للنص، وعليه يمكن القول أن التأويل يسهم في خلق دلالة جديدة، ويساعد القارئ في القبض على المعنى الروحي المحتمل وليس المطلق للنص، ولا يتحقق ذلك بالإيضاح والتدبر (غادامير، 1997، صفحة 21)، وبخاصة أن الخطاب الشعري، أو أي نص إبداعي آخر يتدخل في بنائه الوعي واللاوعي عند المبدع، وبهذا فكل قراءة وتأويل هي تحقيق للدلالة المحتملة، وليست المقصودة أو المطلقة، ولكن «القراءة بالمعنى الذي يبتغيه أي متعاقد مع النص هي القراءة التي تحترم القارئ باعتباره مساهماً في ملكية النص لا خاضعاً لمملكته» (ناس عبد الكريم، 2008، صفحة 106)، وبذلك لا يمكن لأحد «أن يلغي العلاقة بين المتكلم وخطابه، في الوقت نفسه الذي يكون من الحمق الادعاء بقدرة القارئ الوصول يقينا إلى ما أراده المتكلم من هذا الخطاب لا سيما في التواصل الجمالي حيث النص حاضر دون صاحبه، وتبقى القراءة باعتبارها تأويلاً بعد هذا وذاك سعياً حثيثاً ومضنياً لربط النص بمقاصد مؤلفه المجسدة من خلال لغة النص واستراتيجياته التي أعدها هذا المؤلف...» (رمضان، 2013، صفحة 33).

لذا سنحاول أن نقدم قراءة لهذه القصيدة، بغية استكناه دلالتها المحتملة، وبخاصة أن القصيدة الواحدة تتفرد عن غيرها بسمات إبداعية متميزة تحمل

¹ نسرین یاسین بلوط: شاعرة لبنانية معاصرة فازت بجائزة الرابطة اللبنانية سنة 2010م، علماً أن هذه القصيدة – بلادي- مأخوذة من ديوانها الموسوم أرجوان الشاطئ، والذي ضم عدداً معتبراً من القصائد التي تناولت مواضيع شتى تعكس الواقع الذي يعيشه العالم العربي بمختلف فئاته.

القارئ أثناء عملية الغوص في قعرها إلى الجمع بين
الامتناع والإبداع أيضا؛ أي تقديم قراءة جديدة ونص
جديد في آن واحد. كما أن الجمال في الخطاب الإبداعي
يحمل عناصر متعددة تساعده على إنجاز أدوار متنوعة
لا يمكن حصرها في اللذة والمتعة فقط، بل يمكن
إدراك كنه الجمال فيه بشكل لا يتعارض مع دوره في
المجتمع، وهذا يعني أن الإبداع لا بد أن يجمع بين
الفائدة والإمتاع في الوقت نفسه، ولكن تبقى «الكيفية
التي نقرأ بها النصوص ونفهمها هي متغيرة باستمرار
تماما كما يتغير فهمنا لأنفسنا» (جاسير، 2007،
صفحة 22)

كما أن «تعددية الفهم والتأويل ليست تعددية مضافة
إلى النص، بل هي تعددية كامنة في بنيته إلى حد
كبير...» (أبوزيد، 1995، صفحة 111)؛ لأن هناك
مكونات اللاوعي المشاركة في بنائه، فكثيرا ما يكتب
الإنسان العواطف والانفعالات النفسية ويقصصها إلى
قاع العقل الباطن، وهذا بدوره يؤثر في طبيعة المعنى
الذي سيقدمه النص، والقارئ المتميز له القدرة
والكفاءة على تقديم الدلالات المحتملة، وذلك عن
طريق القراءة، والتحليل والتمحيص ليقدم تأويلا
محتملا؛ لأنه لا وجود لتأويل مطلق، بل يبقى نسبي،
فلا يمكن لأي قارئ أن يدعي أن قراءته قراءة نهائية
وكاملة مانعة؛ لأن القارئ عادة ما «يجلب معه ضروبا
معينة من الفهم المسبق وسياقا مهما من القنوات،
والتوقعات التي يتم من ضمنها تقييم خصائص العمل
المتنوعة... وسوف يختار عناصره وينظمها في وحدات
كلية متصلة مقصيا بعضها ومقدما بعضها الآخر»
(إيغلتن، 1995، صفحة 136) وهذا يعني أن
المرجعيات الفكرية والثقافية لدى القارئ تؤثر في
عملية القراءة، وبخاصة أنه يكون واع جدا أثناء
القراءة والتأويل، وهذا ما يمنحه الاختيار والتنظيم
حسب تصوره وفهمه.

وقد كانت الشاعرة بدورها تعيش تجربة شعورية
عميقة أثناء خلقها لهذه القصيدة، لذا تعد قصيدتها
مرآة عاكسة لما يجول في فكرها وشعورها وإحساسها،
فهي تعكس ما له علاقة بذاتها؛ أي تسعى من خلالها
كلماتها التعبير عما يجول في أعماقها من أفكار، وحب
ومواقف، وبخاصة أن المبدع يتميز بالإحساس المرفف
والقدرة على صياغة تجربته فنيا.

2-العنوان:

يمكن النظر إلى العنوان بوصفه مفتاحا يستخدمه
القارئ المتميز للفتح وللولوج في أقصى كنه النص، وإذا
كان العنوان سمة أولية متواضعة خارج النص فإن
أهميته لا تتحقق إلا بمقدار ما يدل على متن النص،
بل هو نواة دلالية مؤسسة لبقية المعاني (بازي، 2010،
صفحة 330)، وهذا ما أقرت به «الكتابة الحديثة
إبداعا وتأليفا ونقدا أن النص الموازي وبضمنه العنوان
يعتبر مدخلا ضروريا لكثير من أنواع الخطابات، كما أن
العناية به تظل معبرا مهما يتسرب منه القراء إلى
أعمال إبداعية بعينها» (تاويرت، 2004، صفحة 101)
وبذلك تعد هذه العتبة نصا مختزلا ومكثفا في الوقت
نفسه، وهذا ما يجعلها تعكس كنه المتن وتلمح إلى
قصديته، وتجذب وتحفز المتلقي للولوج في أعماقه
لاستنطاقه ومحاولة الإمساك بخيوط دلالاته، وتحديد
مقصديته المحتملة.

وتتجلى أهمية عنوان هذا الخطاب الشعري (=بلادي)
في دلالاته على بؤرة الموضوع، وفي إيعازه مباشرة بأن
هذا الخطاب سيكون عن الوطن (المكان=بلادي)،
وبخاصة أن الشاعر/ المبدع لا يأتي بعنوانه اعتباطا،
بل يعتمد إلى انتقاء عنوان مناسب لعمله الإبداعي تبعاً
لمسوغات جمالية ونفسية، وبهذه الدلالة المتألفة
يتحدد الانسجام والانتظام المتكامل بين العنوان،
وتيمة الخطاب، وهذا الانسجام والتآلف يضمن
للخطاب جمالياته، وبخاصة أن العنوان «نصّ وباقى

المقاطع ما هي إلا تعريفات نصية تنبع من العنوان الأم، والعلاقة بين هذا الدفق التفرعي، والعنوان بوصفه متخيلاً شعرياً أو سردياً هي ليست علاقة اعتبارية، إنها علاقة طبيعية منطقية، علاقة انتماء دلالي¹² وبذلك «تنبثق أهمية العنوان سليل العنونة من حيث هو مؤشر تعريفي وتحديدي، ينقذ النص من الغفلة لكونه الحد الفاصل بين الوجود والعدم، الفناء والامتلاء، فأن يمتلك النص اسماً [عنواناً] هو أن يحوز كينونة، والاسم [العنوان] في هذه الحال هو علاقة هذه الكينونة ..». (حسين خالد، 2007، صفحة 5).

وبمعاناة هذا العنوان الذي حدد هوية النص نجد أن المركب الاسمي "بلادي" منطوق على جملة بسيطة مكونة من مركب إضافي (بلادي) فقد جاء ملفوظ "بلاد" خبراً لمبتدأ محذوف تقديره "هذي"/"هذي بلادي"، ولكن طمست الشاعرة في هذه الجملة المبتدأ (المسند إليه)، وأتاحت للمسند "الخبر"، وهو بلادي السيطرة والوجود الفعلي، ليُحيل بذلك على مرجعية الواقع الذي تعيشه الشاعرة، وعلى سر هجرتها من موطنها الأصلي، وطبيعة العلاقة التي تربطها به.

كما أن الإضافة (الياء=ركن التكملة)، وتسمى ياء النسبة قد دلت بها الشاعرة على موطنها الأصلي؛ وما يمكن أن ينطوي عليه المتن الشعري من دلالات تغذي هذه الرؤية العنوانية، وهذا فalcراءة والتأويل سيجريان على مجمل مقاطع هذا الخطاب الشعري الموسوم: "بلادي"

3-القراءة والتأويل على مستوى المقاطع الشعرية:

1.3-المقطع الأول: المعاناة والضيق.

خريف مديد...كالعمر المديد...

يهز أعماقي في غربتي..

فأتلوى كالريح عند باب موصد...

لا أستطيع المضي...أو البقاء..

(ياسين بلوط، 2010، صفحة 53)

تتحرك هذه الأسطر على مساحة من التصورات المتحققة في إطار: السكون والحركة، وتتلور هذه التصورات منذ السطر الأول، لأن الخريف يوحى بالحزن والألم والسكون، وفي المقابل أيضا يوحى بالتجدد، والحركة، والملاحظ في هذا المقطع أن الوطن هو التيمة الرئيسة، بل هو بؤرة معاناة الشاعرة، لذا استندت إلى هذه الصورة لتعبر عن تجربة كيانية تجسد معاناتها، فقلوبها تناثرت أوراقه، وامتدت أيام قلقه، ومعاناته وضياعه دون انقطاع كالعمر المديد، فلفظة "خريف" عادة تدل على الذبول والنهاية إلا أنها في هذا اللوحة تحمل دلالات متعددة ومتناقضة، فهي توحى بالامتداد والعمق، الحياة والموت، القهر والقوة بالاضطراب والفوضى، الأمل، والتجدد، واليأس، الإغواء والخوف.

كل هذه الأحاسيس قد هزت أعماق الشاعرة، وربما هذا ما زاد من حدة غربتها، ونعائين أيضا أنها قد وظفت نقاط الحذف، وكأنها فتحت المجال للقارئ ليشتركها انفعالاتها ورؤيتها، وبذلك فهي تجذب القارئ وتمنحه فرصة الاقتراب من الدلالة المحتملة، وتمكنه من بناء تصور جديد؛ فهي تفتح أمامه الباب الموصد.

وبناء على ذلك يمكن القول أن بنية الفعل "يهز" لا تكتف بتحركها حركة واضحة نحو الدلالة على المعاناة، بل توحى بشيء من القوة في خلخلة المشاعر

والأحاسيس، وهذا يزيد من الألم والتوجع، فهذا المقطع تمثيل لومضة شعورية مجسدة في صورة فنية تتوافق مع نفسية الشاعرة التي تعاني من الألم الذي صيرها كالريح تتلوى رغبة منها في إيجاد منفذ للدخول، أو للخروج، ولكن هيمات فالباب موصد، والشاعرة لم تكتف بملفوظ (عند)، بل لابد من التعيين، وبخاصة أن المضاف بالنسبة المضاف إليه هو عنصر لازم له، فلا وجود للمضاف إليه (باب)، ولا معنى له إلا بالمضاف (عند)، وذلك للتأكيد على الحاجز الذي

يفصل بينها، وبين بلادها، وبذلك يصبح ملفوظ (عند) عنصرا جوهريا في صميم الملفوظ (باب) وطبيعة هذه الصورة لا تكتمل إلا بتحديد حال هذا الباب هل هو مفتوح أم مغلق؟ لهذا جاءت بالصفة لتبين نوعية الموصوف فهو (عند باب موصد) وهذا تأكيد للفراق الذي حدث بينها وبين بلادها، فهذا الباب الموصد يشكل برزخا فاصلا بينها وبين بلادها.

فهذه الصورة تشع بهوم الشعرة المسكونة بأزمات بلادها المختلفة، التي كبتها فلا تستطيع العودة، إليها، ولا البقاء في الغربة (=الصراع الداخلي)، والشاعرة في حقيقة الأمر لم تأت بهذا الفعل "أتلوى" ليؤدي الدلالة المألوفة؛ إنما أرادت به شدة الحيرة واليأس الذي يعيشهما الإنسان الذي فقد وطنه، والتوق إلى السكينة والراحة والأمل... فالشاعرة لا تجسد لحظة عاشتها وحدها، بل قدمت صورة حقيقية يعيشها كل مغترب يحس بالوحدة والضيق، وذاكرتها الأولى محملة بالمآسي، وربما حالة الشاعرة أكثر تأزما؛ لأن بلادها تعاني من احتلال، ومن صراعات داخلية، وهذا ما زاد من حدة تعاستها.

2.3-المقطع الثاني: الشوق والأمل.

وحيدة. لا مرئية...

أتوق لوطني وأحلم به...

أنثره كقصائد أزلية...

تشدو له وتنادي...

(ياسين بلوط، 2010، صفحة 53)

نعاين من خلال هذا المقطع أن الوحدة أنيس المغترب الذي فقد وطنه، فهو غير مرئي من طرف الآخر يحمل آلامه، وحرقته في وجدانه، ولكن على الرغم من المرارة التي تعيشها الشاعرة إلا أنها تسعى إلى خرق وتجاوز الواقع الذي تعيشه، ويتجلى ذلك من خلال

بنية الفعل (أتوق) الذي يوحي بالحركة والإرادة القوية في مواجهة الواقع، ودلالته واضحة توحي بالشوق والنزوع إلى الوطن، ولل فعل (أحلم) دلالة الواضحة أيضا في هذا المجال، وبخاصة أن الحلم "أهم معطى يثبت وجود اللاوعي، والذي يقود تحليله وتأويله إلى إيجاد الآليات الرمزية للحياة النفسية وآليات تشويه الرقابة ما دام الحلم هو التعبير المقنع عن الرغبات المكبوتة" (مجهول، 2016، صفحة 5)

وعليه فالفعل "أحلم" يعكس منطقة اللاوعي عند الشاعرة، فهو يوحي بالرغبة المكبوتة، والمتجلية في آن واحد عبر قصائدها، كما أن الفعل "أحلم" تأكيد على استمرارية عشق الوطن والتغني بحبه إنه يوحي بالتأمل الأمل، والاسترسال في الرؤية لتحقيق رغبة بعيدة المنال، والحلم بهذا الوطن قار في الفؤاد وتحت ضغط الرغبات المكبوتة تحول حب الوطن إلى خطابات أزلية تواسمها في كل لمسة تلم بها؛ بل لتحقيق الإشباع الذاتي، فهذا الحب خالد مستمر ودائم الوجود لا نهاية له، فالوطن يستحق كل شيء، وهذا دلالة على أن حب الوطن متناقل بين الأجيال، قار في الفؤاد بصفة تعاقبية، فبنية الفعل (تشدو) تدل على قلب أحب بفرح، وهو سعيد بهذا العشق فراح ينادي...، فهذا يوحي بشدة الارتباط بين الشاعرة/الإنسان، والوطن.

3.3-المقطع الثالث: الحلم والرغبة.

كالحلم أصبح. أنشده.

وينشدني.

يكحل جفوني حنين عميق...

ويكسو عيوني سبيل من

الدموع.

يردد بلادي...

فلا أسمع غير الريح...

تقرع نافذتي بأناملها الخفية...

(ياسين بلوط، 2010، صفحة 53)

إن وكّد هذه الصور هو التعبير عن عمق الفؤاد المحب والمشتاق، ففرحة المحب (الشاعرة/ الإنسان) تتجسد بقاء محبوبه (=الوطن)، ولكن هذا الوطن عند الشاعرة "كالحلم أصبح": فهذا الملفوظ يعكس دلالة سلبية؛ أي لم يبق منه إلا أثر حبه، فهو أصبح ذكرى، واللقاء تحول إلى حلم، إلى تطلع، إلى الرغبة المتأججة للقاء، لذا فالشاعرة تلوذ بالحلم لتعكس محنتها النفسية، وتتجاوز واقعها، وللفعلين (أنشده- وينشدني) دلالة واضحة على العلاقة المتبادلة بين الوطن والشاعرة/ الإنسان هي علاقة محبة وشوق، وجاءت بحرف العطف (الواو) في جملة (أنشده وينشدني) لتحقيق التقارب بينها وبين بلادها، بل هو استجابة ودعاء، فهذا القول مكثف مقتصد يعطف على ما تعانيه، وبنية الفعل (يكحل) تدل على شدة الشوق، وعبرة (يكحل جفوني حنين عميق...) (جسدت معاناتها، فهي صورة مليئة بشحنات عاطفية، فحولت الحنين والشوق إلى شيء ملموس، فهو كالكحل الذي تكحل به الجفون، والكحل أسود فهذا يدل على عمق المأساة والألم، وبخاصة أن الألوان . وربطت الشاعرة بين الكحل (يكحل) والجفون لإبراز نغمة انفعالية واحتكاكية؛ وبذلك جسدت الإطار الدلالي المقصود؛ لأن الشاعرة اندمجت مع هذا اللون، وأفضت من خلاله بأحاسيسها اتجاه الفراق الذي تعانيه؛ إذ وظفت دلالة اللون الأسود نصيا (يكحل) للتعبير عن مدلول الضياع والحسرة، وشدة الحزن والغموض، وبخاصة أن طبيعة هذا اللون متصلة نفسيا بأجواء الحزن والكآبة والمخاوف. وأيضا صورة (يكسو عيوني سبيل من الدموع...) توحى باستمرار المعاناة، وهي جملة انعطفت على قولها (يكحل جفوني) وهذا وصف الحال التي منيت بها نتيجة الفراق والبعد عن بلادها، وهذا يجسد الأحزان المتتابة والمتلاحقة في حياتها، وهذا قد أسهم في

تصوير حالة الشاعرة المأساوية، فبنية الفعل (يكسو) يدل دلالة واضحة على شدة القهر والمعاناة، فكلتا الصورتين عمقتا أثر المعاناة في ذهن القارئ، والشاعرة على الرغم من الألم، والحسرة، والحرقة تبقى في تردد (بلادي...)، ولا شك أن نقاط الحذف بقدر ما تدل على الاستمرار في حب هذا الوطن، بقدر ما تعبر عن نفسية الشاعرة المتأزمة نتيجة لبُعدها وفراقها لوطنها، ولكن هيات من يسمعها؟ من يرد عليها؟!

تعاني الشاعرة لوحدها في صمت لا أحد يسمعها غير الريح كأن الذين حولها لا يفهمون لغتها لا يحسون بألمها، فلا أحد يقرع نافذتها سوى الريح بأناملها، فالفعل "تقرع" مضارع في اللفظ، حال في الزمن، فهذه الصورة تجسد بشاعة الوحدة، والمعاناة، والريح تزيد من إحساس الشاعرة بالغربة، وهو الإحساس الذي يتعاظم لديها من جراء شعورها بالبعد عن بلادها وهكذا تغدو هذه الصورة معادلا موضوعيا للواقع (المر) الذي تعيش في كنفه الشاعرة، بل إن هذه المعاناة ولدت فيها نزعة الانفصال عن الواقع، والعيش في حالة حلم وترقب.

4.3-المقطع الرابع: الانفصال والابتعاد.

أشقى من الفراق...

يعييني الترحال في بلاد غريبة...

والثلج لا يتنحى عن النظر...

يفرش الطرقات والمفارق...

ناصر هو كمشوق الطفل...

لحضرن أبويه ورائحتهما الذكية...

أو كإحساس شاعر...

نأى عن الأنام وكلامهم...

واعتنق السكون...وسكن لصوت الخريف...

(ياسين بلوط، 2010، الصفحات 53-54)

عَبَّرَ هذا المسار المحمّل بالمعاناة، والإخفاق في تحقيق

الوصل، وصدمة الفراق يتبين لنا أن البلاد محجوبة

عن الشاعرة، لذا اختارت الفعل (أشقى) فبنيتها تتحرك حركة واضحة نحو الدلالة على المعاناة، والحرمان، والتعاسة، والنكد، وفقدان السعادة، وكل هذا يحقق خيبة الأمل واليأس.

أما مفردة (الفراق) فقد دلت على الانفصال والابتعاد، والافتراق، ودلت أيضا على الوحشة التي تشعر بها، وجسدت أيضا الضعف والعجز، بل نقاط الحذف تدل على معان كثيرة ربما الشوق، اللهفة، الحرقه، الحسرة، الوحدة، وكل هذه الألفاظ توجي بأن الشاعرة عاشقة، ولكن معشوقها الذي تتألم بسببه ليس هو الحب العادي المؤلف الذي يعرفه كل الناس، بل إنه عشق من نوع خاص، إنه حب المخلص لبلاده، وما زاد من معاناة الشاعرة وخيبتها هو عدم الاستقرار في الوطن البديل (الغريب) بل المهاجر لا يجد راحته في أي مكان سوى بلاده، وهو محمول قولها:

يعيني الترحال في بلاد غريبة...

وتوجي مفردة (يعيني) بتعب الشاعر وعجزها عن تحمل الفراق والضياع في بلاد الآخر فعدم الراحة يقودها إلى الترحال كرها وليس طوعا؛ لأنها تعلم أن موعدها سيكون مع الحزن وليس الفرح، فكل بلاد العالم ما عدا بلادها ستبقى بالنسبة إليها غريبة، وستشعر بالمسافة بينها وبين الآخر في البلاد الغريبة، ستفقد حتى الاستئناس بوجودهم، والاستقرار، بل الغربة قد تمنح صاحبها شعورا كبيرا بالإذلال والمهانة؛ لأن الآخر دائما يحمل شعور إنكار، وازدراء، وبذلك فذاتية الفرد عادة لا تظهر إلا من خلال التصادم مع الآخر، وعليه «فوعي الذات الوجودي يكون بناءً على الطرف الآخر». (الرويلي، والبازعي، 2007، صفحة 22) وهذا التصادم ومعرفة حقيقة المهاجر، ونظرة الآخر إليه أثر على حالتها النفسية، وجعلها تعيش حالة من اللاتوازن، حالة الترقب، والأمل في التجديد، لذلك

حاولت أن ترسم صورة مغايرة تقوم بوظيفة الربط بين المشهد المتخيل، وحالة الترقب والمعاناة، إذ تقول:

والثلج لا يتنحى عن النظر...
يفرش الطرقات والمفارق...
ناصر هو كشوق الطفل...
لحضر أبويه ورائحتهما الذكية... (ياسين بلوط، 2010، صفحة 53)

فالأمل هو محط نظر الشاعرة، فهو مفتوح على الأفق اللانهائي والنظائر الدلالية على ذلك (والثلج لا يتنحى عن النظر) فمفردة " الثلج " لها دلالات عديدة منها: النفع، الخصب، وزوال الهموم، كما أن الثلج لونه أبيض، وهذا يدل على الأمل، والفرح، الفرج، البهجة، والسلام، وإن كان هذا اللون قد يرمز أحيانا إلى الحزن والتفجع، ولكن الشاعرة جعلت منه لون أمل وفرح، وهذا ما جعله محط نظر الشاعرة لا يغيب عنها، كأنها تغسل بالثلج الأبيض همومها، وتلون ببياضه وجدانها، لذا فهي تتسلق لحظات الترقب، والخوف مسترسلة في نظراتها عبر مساحات مفروشة ناصعة البياض، فهذا التجاوز له دلالاته فكأنه يزرع الأمل، فصورة " يفرش الطرقات والمفارق..." تدل على استمرار الأمل " ناصر هو كشوق الطفل " أمل متجدد متواصل، صاف، وخالص خال من الدغل، بل هو كشوق الطفل البريء، فصورة " لحضر أبويه ورائحتهما الذكية " تعادل أمل وشوق الشاعرة / المهاجر للوطن، وبخاصة أنها وجدت نفسها في حزن وطن ليس بوطنها، فالأرض تعد أماً، وبخاصة أن الأم تدخل حسب تصور يونج (Carl Gustav Jung) في إطار أنماط التحول، فالطبيعة تمثل الوجه الآخر من عالم الشاعرة الباحثة عن الأمن، وبخاصة أنها تعيش في حلة قلق، وصراع نفسي لذا قررت الانسحاب من هذا الواقع لتفعيل رفضها لهذا الواقع المؤلم فهي حساسة، لأنها شاعرة تحس بما لا يحسه الآخر؛ لذا

فهي كغيرها من الشعراء فضلت تجاوز الواقع بحثاً عن طريقة لإعادة التوازن، فابتعدت عن الناس، وفضلت السكون ربما للتأمل، وتحقيق السكينة، وهو محمول قولها:

أو كإحساس شاعر...

نأى عن الأنام وكلامهم...

واعتنق السكون...

وسكن لصوت الخريف... (ياسين

بلوط، 2010، الصفحات 53-54)

تجسد الصورة في الواقع العزلة التي تعيشها الشاعرة بفعل قوة عازلة شلت إرادتها الواعية أو الرغبة في العودة إلى الوطن، وتتضح الدلالة النصية وفق هذا الفضاء عن الإحساس بالعزلة والضياع وسكونها لصوت الحزن والألم (صوت الخريف...).

5.3-المقطع الخامس: الأزمة والعتمة.

في وسط الضباب.

يقحم حالك التنهيد فؤادي...

صرح الحب تجتثه الرياح.

وصبوته تهفو لذكرى بلادي... (ياسين

بلوط، 2010، صفحة 54)

والملاحظ في هذا المقطع أن الشاعرة تجلي عن

اشتداد أزمته (في وسط الضباب) فهذا يدل دلالة واضحة على العتمة والصمت، وهذا السطر الشعري الوحيد الذي أنهته بنقطة واحدة، وربما هذا رحمة بالقارئ حتى لا يتكبد فك مغاليق الصمت (النقاط المتتابعة)، وربما الحقيقة التي لا تحتاج إلى قراءة وتأويل، فهذا الفراق الذي تعاني منه الشاعرة يؤثر سلباً على مشاعرها، إذ نفى عنها الراحة، وجعلها ضائعة حائرة في وسط الضباب؛ أي عدم وضوح الرؤية، الضياع...، فهي لم تجد من يخفف عنها عشقها سوى التنهيد للتخلص من الانقباض الجاثم على

فؤادها، وعلى الحب الكبير لوطنها الذي اجتثته الأهوال والمشاكل.

وعلى الرغم من ذلك فالحنين الذي ملأ فؤادها يهفو ويحن لذكر بلادها ف"الهاء" في لفظة (صبوته) تعود على الفؤاد، فالذاكرة ترميها بسهام الوجد والشوق، والأفكار مازالت تصول وتجول في خاطرها، وهذا ما جعلها تستعين بعد السطر الأول من هذا المقطع بالنقاط لتوحي أن نصها مفتوح لتمنح القارئ فرصة القراءة والتأويل، وبخاصة أن النقاط المتتابعة تتوسط العبارات والكلمات لتدل على أفكار ومعاني كامنة في النص، وتم السكوت عنها.

ونلاحظ أن جل المقاطع الشعرية قد تميزت

بالنقاط المتتابعة سواء أكان ذلك في نهاية السطر الشعري، أو بين الكلمات، كأن الشاعرة عندما تحس بالانسداد والانغلاق، ويتضح لها في الوقت نفسه أن العبارة غير قادرة على حمل رؤياها، والتعبير عنها، وإعطائها صفة التجلي والظهور، فإنها تستعير لغة الحبر السري، والملمغم لتمحو به ذلك الانسداد والضييق وتفسح المجال أمام القارئ ليملاً تلك الفراغات بما يناسب شعرية القصد، وهو هدف مغرب بالنسبة لأي قارئ. (خمري، 2001، صفحة 342)

وبذلك فهذه النقاط تعكس عالماً كامناً غير ظاهر، واللغة غير قادرة على حمله وتجليته؛ أي إعطائه صفة البيان والظهور وبذلك لا يمكن التعبير عنه إلا بهذا الحيز الفارغ، وبهذا فهي توحى بخفاء الدلالة، وعلى القارئ فك مغاليق هذا الصمت/الخفاء الذي توحى به النقاط، كأن هذا الصمت يجسد ما في حياة المهاجر والمغترب من معاناة، يجسد لهفته وشوقه، فهذه التقانة تسعى لاستبطان وكشف ما يجول في ذات القارئ، كما تمنح تحرك عملية التخيل لدى القارئ ليرسم صورة لهذه التجربة، فيقدم قراءة محتملة وفقاً لمعارفه وتجاربته، وخبرته، وهذا ما يجعله طرفاً فاعلاً

ومتفاعلا في عملية الإبداع الشعري ليفصح عن حبه لوطنه، وعن مدى معاناته إذا فقد.

4-خاتمة:

إن الخطاب الشعري دائما قائم على التفاعل المتبادل بينه وبين القارئ المتميز الذي يلج في عمقه ويسعى إلى فك شفرته واستنباط مقصديته المحتملة، وتبيان صورته التي أسهمت في هندسة معانيه وجمالياته، ولكن دائما بمراعاة العلاقة القائمة بين الخطاب الشعري ومبدعه، وبذلك ومن خلال ربط النص بمقاصد الشاعرة التي جسدتها من خلال لغة قصيدتها فقد توصلنا إلى النتائج الآتية:

- حدد العنوان هوية النص؛ إذ أحال إلى مرجعية الواقع الذي تعيشه الشاعرة، وعلى طبيعة العلاقة التي تربطها ببلدها.

- قدمت الشاعرة من خلال قصيدتها صورة تجمع بين اليأس والأمل، هذه الصورة التي جسدت من خلالها حبا لبلادها ومعاناتها لفقدانه وشوقها للعودة.

- تجلي الأفعال بشكل واضح للدلالة على الحركة، وهي استمرارية حب الشاعرة لبلادها ومعاناتها بسبب الغربة، فهي منحتم شعورا كبيرا بالقلق؛ لأن الآخر دائما يحمل شعور إنكار، ورفض، وبذلك فذاتية الفرد لا تتجلى إلا من خلال التصادم مع الآخر.

- استخدام ملفوظات دالة على اللون بخاصة الكحل، والأبيض، واللون يحمل عادة بعدا رمزيا، وقد أفضت من خلاله بأحاسيسها اتجاه الفراق الذي تعانيه.

- جمعت المبدعة في هندسة قصيدتها بين الصوت والصمت (النقاط المتتالية)، فالصوت حاولت من خلاله أن تعبر عن معاناتها، وحرقة فؤادها شوقا لبلادها، والصمت نجم بسبب صدمتها، وعجز اللغة عن نقل مدى معاناتها، وعجزها عن فهم علة هذه الصراعات التي مزقت بلادها وجعلتها مرتحلة من بلاد لآخر، وأيضا لجذب القارئ ليسهم في فك مغاليق هذا

الصمت الذي توحى به النقاط، وربما ذلك لا يتحقق إلا من خلال قارئ عايش التجربة المعبر عنها في قصيدة "بلادي" وهذا ما سبغ النص بالانفتاح وصعوبة تحديد دلالاته المقصودة بصفة نهائية، فالمعنى المقصود يبقى نسبيا، وهذا ما يمنح القصيدة تعددية القراءة والتأويل، وعليه يمكن القول إنه لا يمكن كشف كل تلايف النص، وهذا يدل على عدم وجود قراءة نهائية، بل النص يبقى مفتوحا على قراءات متعددة حسب طبيعة القارئ، وبخاصة أن كل قارئ له خلفية ابستمولوجيا متميزة، وهذا ما يمنح النص خاصية ديمومة الوجود والاستمرارية والتجدد، والانفتاح، والانفلات من الدلالة المحددة والنهائية والجامدة.

5-قائمة المصادر والمراجع:

- إيكو أمبرتو. (2000). *التأويل بين السيميائيات والتفكيكية* (الإصدار ط1). (سعيد بنكراد، المترجمون) بيروت-لبنان/ الدار البيضاء-المغرب: المركز الثقافي العربي.
- بشير تاويرت. (2004). *العنوان واستراتيجية المفارقة في قصيدة المهرولون للشاعر نزار قباني*. عيم مليلة/الجزائر: شركة هدى للطباعة والنشر.
- تيري إيفلغتون. (1995). *نظرية الأدب*. دمشق: وزارة الثقافة.
- حامد أبو زيد. (1995). *النص، السلطة، الحقيقة: الفكر الديني بين إرادة المعرفة وإرادة الهيمنة* (الإصدار ط1). الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي.
- حسين حسين خالد. (2007). *في نظرية العنوان: مغامرة تأولية في شؤون العتبة النصية*. دمشق: دار التكوين للتأليف والترجمة والنشر.

- حسين خمري. (2001). *سلطة النص في ديوان البرزخ والسكين للشاعر عبد الله حمادي*. قسنطينة: منشورات النادي الأدبي.
- دايفيد جاسير. (2007). *مقدمة في الهرمينوطيقا (الإصدار دط)*. (وجيه قانصو، المترجمون) الجزائر: منشورات الاختلاف.
- سلوم سلوم درغام. (2012, 29 12). *جمال الوطن والمقاومة في الشعر العربي*. جريدة الأسبوع الأدبي (1325)، صفحة 4. تم الاسترداد من <https://www.awu.sy/PublicFiles/pdf/alsb.oa/1325.pdf>
- عبد السلام ناس عبد الكريم. (2008). *في تأويل النص الشعري: مقارنة نظرية تطبيقية في نص الحداثة (الإصدار ط1)*. المملكة المغربية: شركة إمبريما مادري.
- عبد الله الرشدان. (1999). *علم لاجتماع التربية*. عمان: دار الشروق للنشر والتوزيع.
- مجهول مجهول. (2016). *اللاوعي، سلسلة دفاتر فلسفية/نصوص مختارة*. (ترجمة سميرة شمعراوي ومحمد الهلالي، المترجمون) دار توبقال للنشر.
- محمد بازي. (2010). *التأويلية العربية: نحو نموذج تساندي في فهم النصوص والخطابات*. الجزائر- لبنان: منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم.
- محمد غلاب. (دت). *التصوف المقارن*. مصر: مكتبة نهضة.
- ميجان وسعد الرويلي، والبازعي. (2007). *دليل الناقد الأدبي*. بيروت-لبنان: المركز الثقافي العربي للنشر والتوزيع.
- نسرين ياسين بلوط. (2010). *أرجوان الشاطئ*. لبنان: دار لبنان للطباعة والتوزيع.
- هانز جورج غادامير. (1997). *تجلي الجميل*. (سعيد توفيق، المترجمون) القاهرة: المجلس الأعلى للثقافة.
- يعي رمضان. (2013). *قراءة النص بين موت المؤلف ومقصدية المتكلم (الإصدار ط1)*. إريد: عالم الكتب الحديث للنشر والتوزيع.